**المحاضرة الثانية: الرواد و التجربة الشعرية الجديدة (2)**

1. **المحاولات التجريبية الأولى في الشعر الحر:** في نهاية 1946م نظم الشاعر العراقي "بدر شاكر السياب" قصيدته الأولى في الشعر الحر بعنوان "هل كان حبا؟" (من بحر الرمل) قال فيها:

هل تسمين الذي ألقى هياما؟

أم جنونا بالأماني؟ أم غراما؟

ما يكون الحبُّ؟ نوحا و ابتساما؟

أم خفوق الأضلع الحرّى إذا حان التلاقي

بين عينينا فأطرقت فرارا باشتياقي

عن سماء ليس تسقيني إذا ما

جئتها مستسقيا إلا أوَامَا

و هذه القصيدة متضمنة في ديوان "السياب" "أزهار ذابلة" الذي صدر في بغداد في عام 1947م، و هو العام ذاته الذي كتبت فيه "نازك الملائكة" قصيدتها "الكوليرا"، و هي أول قصيدة حرة لها (من بحر المتدارك) قالت فيها:

سكن الليلُ

اصغ إلى وقع صدى الأنات

في عمق الظلمة تحت الصمت على الأموات

صرخات تعلو تضطرب

حزن يتدفق يلتهبُ

يتعثر فيه صدى الآهات

في كل فؤاد غليانُ

في كل مكان روح تصرخ في الظلمات

في كل مكان يبكي صوتْ

هذا ما قد مزقه الموتْ

و يبدو من خلال تاريخ نشر هذه القصيدة أن "نازك الملائكة" كانت الأسبق في طبع قصيدتها، لكن بالرغم من هذا فإن ريادة الشعر الحر يتقاسمها كل من "بدر شاكر السياب" و "نازك الملائكة".

غير أن "إحسان عباس" يرى بأن دلالة البواكير الأولى لهاتين القصيدتين اللتين وصفتا بأنهما بداية الانطلاقة الجديدة في الشعر الحر و هما قصيدة "الكوليرا" و "هل كان حبا؟" ((لا يصلح اتخاذهما مؤشرا قويا على شيء سوى تغيير جزئي في البنية، فأما الأولى[يقصد قصيدة نازك] فإنها خبب موسيقي، لذلك الموكب المخيف الذي يمثله الموت، و وصف خارجي للوصول إلى إثارة الرعب[...]، و أما الثانية[يقصد قصيدة السياب] فإنها تنطلق من محاولة لتحديد معنى الحبّ، هل هو نوح و ابتسام، أو خفوق الأضلع عند اللقاء)).

و بالرغم من هذا فإنهما استطاعا أن يبرزا خصائص الشعر الحر في بدايات مراحله عن وعي بهذا الشكل الجديد، من خلال ما قدمته "نازك" نظريا عن الشعر الحر في ديوانها الثاني "شظايا و رماد" عام 1949م بعد ديوانها الأول "عاشقة الليل" 1949م، و من خلال جهود "السياب" بعد ذلك في الشعر الحر.

1. **الشعر الحر بين الشكل و المضمون:** لقد كانت بدايات الشعر الحر الاهتمام بالشكل أكثر من المضمون، ثم تطور هذا الشعر و تطورت معه تجارب الشعراء، و إذا كنا رأينا أن "نازك الملائكة" لم تأمل كثيرا في نجاح الشعر الحر و استمراره، فإن "بدر شاكر السياب" كان الأطول نفَسا في صقل موهبة الشعر الحر لديه، و استطاع أن يطوّر تجربته الشعرية ليصبح الشعر الحر (( في حد ذاته نقلة هائلة على مستوى جماليات القصيدة المعاصرة، التي تحولت من الغناء إلى الدراما، و من البساطة إلى التركيب، و من استلهام التراث القومي إلى استيحاء التراث العالمي)).

و الشعر الحر كما يرى "إحسان عباس" لم يعد (( تلبية لرغبة في التجديد الشكلي - كما بدا - و إنما أصبح مع الزمن طريقة من طرق التعبير عن نفسية الإنسان المعاصر و قضاياه و نزوعاته، فهو يتطور في ذاته كلما تطورت المداخل لفهم تلك النفسية و المبادئ المطروحة، لحل تلك القضايا و الوسائل الجديدة للكشف عن ضروب اللقاء و الصراع في تلك النزوعات)).

1. **خصائص الشعر الحر:** لخّصت رائدة الشعر الحر "نازك الملائكة" الخصائص و المزايا في عدة نقاط تتمحور أساسا في الجانب الشكلي للقصيدة، و هذه الخصائص ذكرتها في كتابها "قضايا الشعر المعاصر" يمكننا أن نوجزها كالتالي:
2. تحرر الشاعر من رتابة البيت و رتابة القافية، لذلك فهو غير ملزم باتباع طول معين للبيت، و غير ملزم أيضا أن يحافظ على ثبات القافية، فلا قافية تضايقه - كما تقول نازك - و لا تمددٌ معيّن للتفعيلات يقف في سبيله إنما هو حرّ.
3. بالرغم من عدم مضايقة القافية و كسر رتابة طول البيت (السطر الشعري)، إلا أن هذه الحرية في تصرّف الشاعر بالنسبة لهذين العنصرين الشعريين الأساسيين تعتبر وبالا على الشاعر؛ لأنه يصعب عليه التحكم في انسياب القصيدة بحيث تصبح فاقدة للضابط الذي يتحكم في شكل القصيدة.
4. إذا كان الشعر الحر يعتمد على تكرار التفعيلة الواحدة مرات مختلفة حسب كل سطر، فهذا يفضي إلى تدفق الوزن خاليا من الوقفات التي تحدد الجملة الشعرية، و هذه الوقفات الثابتة لا يدرك الشاعر مدى ضرورتها إلا حين يفتقدها في الشعر الحر.
5. **بحور الشعر الحر:** بعد أن وضعت "نازك الملائكة" القواعد للشعر الحر، أصبح لزاما تجاوز هذه المعايير التي لم تكن سوى خطوة أولى لتحديد هذه النوع الشعري الجديد، فبعد أن جعلت "نازك" بحور الشعر المواتية للشعر الحر البحور الصافية فقط، أصبحت البحور الممزوجة أيضا بحورا للشعر الحر، غير أن هذه البحور لا تتفق مع بحور الشعر العمودي في التقسيم من حيث تمام عدد التفعيلات أو نقصها؛ لأن غير التام من البحور في الشعر العمودي يدخل في التام في الشعر الحر.
6. **التدوير في الشعر الحر:** تجدر الإشارة إلى أن هذا النوع من الشعر يقبل التدوير في التفعيلة، فيكون جزء منها في آخر سطر و يأتي جزؤها الآخر في بداية السطر الموالي، و هذا خلافا لما قررته "نازك الملائكة" في بداية دعوتها للشعر الحر من عدم جواز التدوير في القصيدة الحرة، و هذا ما يجعل قصيدة الشعر الحر تحتوي على بيت خطي و هو السطر الشعري الذي يظهر من خلال الكتابة، و بيت عروضي خفي يظهر من خلال التقطيع العروضي قد يمتد إلى أكثر من سطر لاشتراك بيتين متجاورين في تفعيلة واحدة.